

الاسترضاع بأجر ومدة الرضاع ونفقة الأولاد وأحكام أخرى

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

المناسبة: لما ذكر الله أحكام التكاثر والطلاق الذي يحصل به الفراق، ذكر حكم ما كان من نتيجة التكاثر، لأن المطلقات قد يكون لهن أولاد رضع، فربما ضاعوا بين كراهة الأزواج وعتت المطلقات، وربما حرمتهم الرضاعة انتقاماً من الأب، فأوصى الوالدات بالأولاد، وجعل مدة الرضاع حولين كاملين إذا شاء الوالدان إتمام الرضاعة، وألزم الآباء بكسوة الوالدات ونفقتهم مدة الرضاع بقدر سعتهم أو طاقتهم، ونهى عن مضارة أحد الوالدين بالآخر بسبب الولد، ففرض الأم إرضاعه لتضرب أباه بتربيته، أو تبالغ في طلب التفقة والكسوة. وقد ينتزع الأب الولد منها إضراراً بها وهي تريد إرضاعه، أو يكرهها على الإرضاع، أو يمنعها حقها في التفقة والكسوة، كما أنه تعالى نهى الوالدين عن إلحاق الضرر بالولد، فيحدث تقصير فيما ينبغي له، وكل ذلك رعاية من الله للمولود، لأنه عاجز عن نفع نفسه ودفع الضرر عنها.

المعنى العام

يقول الحق ﷻ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ هذا إرشاد وأمر من الله تعالى للوالدات (المطلقات) أن يرضعن أولادهن كال الرضاعة، وهي سنتان، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك، ولهذا ذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين، فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما لم يحرم، لحديث رسول الله ﷺ: «(لَا يُحْرَمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الْأَمْعَاءُ فِي الشُّدِيِّ، وَكَانَ قَبْلَ الْفِطَامِ)»^(١)، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين، وما كان بعد الحولين الكاملين فإنه لا يحرم شيئاً. فيجب على الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين إذا كن في العصمة، ولا شرف لهن لجري العرف بذلك، أو مطلقات ولم يقبل الولد غيرهن، هذا ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِمَّ الرِّضَاعَةَ﴾، فإن اتفقا على فطامه قبلهما، جاز، كما سيأتي. ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي على الوالد كفاية الموضع التي تقوم بإرضاع ولده، والإنفاق عليها لتقوم بخدمته حق القيام، وتحفظه من عادات الأيام، وأن يكون ذلك الإنفاق بحسب المعروف والقدرة والطاقة لأن ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لا يكلف الله نفساً إلا ما تطيقه. ثم حذر تعالى كلاً من الوالدين أن يضار أحدهما الآخر بسبب الولد ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾ فلا يحل للأم أن تمتنع عن إرضاع الولد إضراراً بأبيه، وأن تقول له مثلاً: اطلب له ظئراً غيри، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ أي ولا يحل للأب أن ينزع الولد منها مع رغبتها في إرضاعه، ليغيظ أحدهما صاحبه بسبب الولد.

(١) رواه الترمذي في سننه، عن أم سلمة، حديث رقم: ١١٥٢، كتاب: أبواب الرضاع، باب: ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين، الحديث حسن صحيح.

وقيل في قوله تعالى: ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا﴾ بحيث ترضعه وهي مريضة، أو إذا انقطع لبنها، بل يجب على الأب أن يستأجر من يرضعه، ﴿وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ بحيث لا يكلف من الإنفاق والكسوة فوق جهده. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾ في عدم الضرر لقريبه، وقيل: عليه مثل ما على والد الطفل من الإنفاق على والدته الطفل، والقيام بحقوقها وعدم الإضرار بها، وهو قول الجمهور، وقد استدلل بذلك من ذهب من الحنفية والحنبلية إلى وجوب نفقة الأقارب بعضهم على بعض، وهو مروى عن عمر بن الخطاب وجمهور السلف.

﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين، ورأيا في ذلك مصلحة له، وتشاورا في ذلك وأجمعاه عليه، ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ إن لم يخافا على الولد ضعفاً. وهذا يدل على أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي، فلا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر، وفي هذا احتياط للطفل والإزام للتظمر في أمره، وهو من رحمة الله بعباده حيث حذر على الوالدين في تربية طفلهم، وأرشدتهما إلى ما يصلحهما ويصلحه.

﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ أيها الأزواج، ﴿أَنْ تَسْرِضُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ عند غير الأم، برضاها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمْ﴾ فلا بأس إذا أعطيت للراضع، ﴿مِمَّا آتَيْتُمُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ما أردتم إيتاءه من الأجرة بالمعروف من غير مطل ولا تقتير. والشرط إنما هو على وجه الكمال والإحسان، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم، فيما كلفتم به من الحقوق، ﴿وَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾ لا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأقوالكم، فإنه ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

لطائف الإشارات للسلوك والتربية في الآيات

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآية:

١. وجوب إرضاع الأم ولدها الرضعة الأولى "اللبأ" إن كانت مطلقة، وسائر الرضاع (إن استطاعت) إن كانت غير مطلقة، لأن لبن الأم أصلح وشفقتها على ولدها أكمل.
٢. بيان الحد الأعلى للرضاع وهو عامان تامان، ولذا فالزيادة عليهما غير معتبرة شرعاً.
٣. غاية الرحمة التي يضرب بها المثل رحمة الأمهات؛ فأمَرَ الله سبحانه الأمهات بإكمال الرحمة بإرضاع المولود حولين كاملين، وقطع الرضاعة عنه قبل الحولين إشارة إلى أن رحمة الله بالعبد أتم من رحمة الأمهات.
٤. جواز أخذ الأجرة على الإرضاع، فادخار المستطاع بخُلٍّ، والوقوف - عند العجز - عذر.
٥. وجوب نفقة الأقارب على بعضهم في حال الفقر. قال رسول الله ﷺ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُصَيِّعَ مَنْ يَقُوْثُ)) ()
٦. جواز إرضاع الوالد ولده من مرضع غير والدته.
٧. فطام الطفل قبل عامين ينبغي أن يكون بمشورة ورضى الأبوين.

٨. اشتملت الآية على تمهيد طريق الصَّحبة، وتعليم محاسن الأخلاق في أحكام العشرة، قال رسول الله ﷺ: «(مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ)»^(١)، وقال ﷺ لمن ذكر أنه لم يُقْبَلْ أولاده: «(لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ قَلْبٍ شَقِيٍّ)»^(٢).

من أسماء الله الحسنى: البصير

شرح اسم الله البصير

- صفة تنكشف بها المسموعات، والمبصرات، بل جميع الموجودات.
- لا يغيب عن رؤيته مرئٍ وإن دق.
- لا يدفع رؤيته ظلام.
- يرى من غير حدة وأجفان.
- المطلع على خلقه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، بل هو بجميعها محيط ولها حافظ ذاكر، فالسرّ عنده علانية والغيب عنده شهادة.

التعلّق باسم الله البصير:

- أن تستحي من الله وأن تستشعر أن الله تعالى يراك وأن تتقيّه في الخلوات، فإن الله يراك حيثما تكون، ومنه دوام الحياء والمراقبة. فمن علم أن ربه بصير مطلع عليه يراه حيث كان، مطلع على باطنه وظاهره سرّه وعلايته استحضر ذلك في خلواته، وأوجب له ذلك ترك المعاصي في السرّ، وهو علامة كمال الإيمان.
- أن يكون همك التعرف إلى الله.
- الإخلاص لله ﷻ، لأنّ الإخلاص يعني نفي الرياء والسّمة، فالرياء هو حبّ أن يراك الناس، والسّمة حبّ أن يسمع بك الناس. فلماذا تريد أن ترى الناس وتسمع بعملك الصّالح؟ لأنك لم تكتفِ برؤية الله لك، فالإخلاص هو أن تعمل العمل تريد به وجه الله وحده.

في الأمر والنهي

أحكام الرّضاع

الأحكام الشرعية:

الحكم الأول: ما المراد بالوالدات في الآية الكريمة؟

أ- قال بعضهم: لفظ الوالدات في الآية خاصّ بالمطلقات، وهو قول مجاهد والضّحّاك، والسّديّ. واستدلّوا بأنّ الآيات السابقة كانت في أحكام المطلقات وهذه وردت عقبها تتمّة لها، وبأنّ الله أوجب على الوالد رزقهنّ وكسوتهنّ، ولو كنّ أزواجاً لما كان هناك حاجة إلى هذا الإيجاب، لأنّ التفقة واجبة على الزوج من أجل الزّوجة، ثمّ تعليل الحكم بالنّهي عن المضاربة بالولد يدلّ على أنّ المراد بالوالدات المطلقات، لأنّ التي في عصمة الزّوجيّة لا تصرّ ولدها.

ب- وقال آخرون: المراد بالوالدات العموم أي جميع الوالدات سواء كنّ متزوّجات أو مطلقات، عملاً بظاهر اللفظ فهو عام ولا دليل على تخصيصه.

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٥٩٩٧، كتاب: الأدب، باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته.

(٢) رواه البيهقيّ في شعب الإيمان، عن أبي هريرة، حديث رقم: ١٠٥٣٨، كتاب: وباب: في رحم الصغير وتوقير الكبير.

الحكم الثاني: هل يجب على الأم إرضاع ولدها؟

ذهب بعض العلماء إلى أنه يجب على الأم إرضاع ولدها، لظاهر قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ فهو أمر في صورة الخبر أي: ليرضعن أولادهن.

وهذا مذهب مالك أن الرضاع واجب على الأم في حال الزوجية، فهي حق عليها إذا كانت زوجة، أو إذا لم يقبل المولود ثدي غيرها، أو إذا عُدَّ الأب، واستثنوا من ذلك الشريفة بالعرف، وأما المطلقة طلاق بينونة فلا رضاع عليها، والرضاع على الزوج إلا أن تشاء هي إرضاعه فهي أحق، ولها أجره المثل.

وذهب جمهور الفقهاء، وهو مذهب الحنفية كما ذكر ذلك الطحاوي في كتاب النفقات، إلى أن الأمر هنا للتدب، وأنه لا يجب على الوالدة إرضاع ولدها إلا إذا تعينت مرضعاً بأن كان لا يقبل غير ثديها، أو كان الوالد عاجزاً عن استئجار ظئر (مرضعة) ترضعه، أو قدر ولكته لم يجد الظئر، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَاسَزْتُمْ فَسَتُرْضَعُ لَهُ أُخْرَى﴾^(١) ولو كان الإرضاع واجباً لكفها الشرع به، وإما ندب لها الإرضاع لأن لبن الأم أصلح للطفل، وشفقة الأم عليه أكثر.

الحكم الثالث: ما هي مدة الرضاع الموجب للتحريم؟

ذهب الجمهور - مالك والشافعي وأحمد - إلى أن الرضاع الذي يتعلق به حكم التحريم، ويجري به مجرى النسب، قوله ﷺ: ﴿يَحْرُمُ مِنَ الرِّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ﴾^(٢) هو ما كان في الحولين واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ وبما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: ﴿لَا رِضَاعَ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْحَوْلَيْنِ﴾^(٣). وذهب أبو حنيفة إلى أن مدة الرضاع المحرم سنتان ونصف، لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^(٤). وعليه فلا حكم لما ارتضع المولود بعد الحولين.

الحكم الرابع: كيف تقدر نفقة المرضع؟

دلّ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ على وجوب النفقة لمرضع على الزوج، والنفقة تكون على قدر حال الأب من السعة والضيقة لقوله تعالى: ﴿لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾، كما استدلل الفقهاء على وجوب نفقة الولد على الوالد، لأن الله أوجب نفقة المطلقة على الوالد في زمن الرضاع لأجل الولد، فتجب نفقته على أبيه مادام صغيراً لم يبلغ سن التكليف.

الحكم الخامس: ما المراد من قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾؟

اختلف المفسرون في المراد من لفظ (الوارث) في الآية الكريمة على أقوال:

- أ - قال بعضهم: وارثه كل ذي رحم محرم من قرابة المولود، وهو قول (أبي حنيفة) وصاحبيه.
 - ب - وقال بعضهم: المراد بالوارث الباقي من والدي الولد بعد وفاة الآخر، وهو قول سفيان الثوري.
 - ج - وقال آخرون: المراد بالوارث المولود نفسه فتجب النفقة عليه في ماله، إن كان له مال.
- وقد رجح الطبري الرأي الأخير واختاره من بين بقية الأقوال، والله أعلم بالصواب.

(١) سورة الطلاق، الآية: ٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس، حديث رقم: ٣٦٤٥، كتاب: الشهادات، باب: الشهادة على الأنساب، والرضاع المستفيض.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم: ١٥٦٦٨، كتاب: الرضاع، باب: ما جاء في تحديد ذلك بالحولين، الحديث موقوف.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

حكمة التشريع

حثَّ الله تعالى الأمهات على إرضاع الأبناء، وحدد مدة الرضاع بعامين كاملين، لأنَّ هذه المدة يستغني بها الطفل عن ثدي أمه، ويبدأ بالتغذي بعدها عن طريق تناول الطعام والشراب. وليس هناك لبن يعادل لبن الأم، فهو أفضل غذاء باتفاق الأطباء فالولد قد تكون من دما في أحشائها، فلما برز إلى الوجود تحول الدم إلى لبن يتغذى منه، فهو اللبن الذي يلائمه ويناسبه لأنَّه قد انفصل من الأم، وقد قضت الحكمة الإلهية أن تكون حالة لبن الأم في التغذية ملائمة لحال الطفل بحسب درجات سنه، فإذا أرضعته مرضع لضرورة وجب التدقيق في صحتها، ومعرفة أخلاقها وطبائعها، لأنَّ لبنها يؤثر في جسم الطفل وأخلاقه وآدابه، إذ هو يخرج من دما ويمتصه الولد، فيكون دما له ينمو به اللحم، وينشز العظم، فيؤثر فيه جسميًا وخلقيًا، وقد لوحظ أنَّ تأثير انفعالاتها النفسية والعقلية أشدَّ من تأثير صفاتها البدنية فيه، فما بالك بآثار عقلها وشعورها وملكاتنا النفسية؟!

والأم حين ترضع ولدها لا ترضعه اللبن فحسب، بل ترضعه العطف والرحمة والحنان، فينشأ محبوبًا على الرحمة، محبًا للخير، وعلى العكس حال أولئك الذين يُحرمون عطف وحنان أمهاتهم، فتفتعل في نفوسهم نوازع القسوة والشر والانتقام، وقد فطن علماء التربية والتأديب في الأم الراقية إلى هذا الأمر، حتى كانت نساء القياصرة يرضعن أولادهن بأنفسهن، ولا يرضين تسليمهم إلى المراضع.

فأين هذا مما نراه اليوم من التهاون في رضاعة الأولاد وسائر شؤونهم!! حتى الأمهات اللواتي فطرهنَّ الله تعالى على التلذذ بإرضاع أولادهنَّ والغبطة به، قد صارت نساء الأغنياء منهنَّ في هذا الزمان يرغبن عنه ترفعًا وطمعًا في بقاء الجمال وكلَّ هذا مناقض لسنة الفطرة، ومفسد لتربية الأولاد، ولسنا نرى دينًا تعرّض لمحاسن تربية النشء مثل ما تعرّض له الإسلام، فاللهم وقفنا للاهتمام بهديه الكريم، إنَّك سميع مجيب الدعاء.

باب النفقة على العيال

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي رَقَبَةٍ وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَغْظَمَهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ»^(٤).

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ، دِينَارٍ يُنْفَقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٍ يُنْفَقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفَقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: "وَبَدَأَ بِالْعِيَالِ، ثُمَّ قَالَ أَبُو قِلَابَةَ: وَأَيُّ رَجُلٍ أَغْظَمُ أَجْرًا، مِنْ رَجُلٍ يُنْفِقُ عَلَى عِيَالٍ صِغَارٍ، يُعْفُهُمْ أَوْ يُنْفَعُهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُعْنِيهِمْ"^(٥).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لِي مِنْ أَجْرٍ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُتِيقَ عَلَيْهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكِهِمْ هَكَذَا وَهَكَذَا، إِنَّمَا هُمْ بَنِي؟" قَالَ: «نَعَمْ، لَكَ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتَ عَلَيْهِمْ»^(٦).

(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٧.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٣.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٩٩٥، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك.

(٥) رواه مسلم في صحيحه، عن ثوبان، حديث رقم: ٩٩٤، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة على العيال والمملوك.

(٦) رواه البخاري في صحيحه، عن أم سلمة، حديث رقم: ٥٣٦٩، كتاب: النفقات، باب: «وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ».

في الأخلاق والآداب

التخلق باسم الله البصير

- هو بأن تكونَ على بصيرةٍ من أمرِكَ فلا تُقلِّدُ الآخرينَ تقليدًا أعمى. بل كُلُّ قرارٍ تأخُذه تَبنيه على بصيرةٍ ودراسةٍ ودرايةٍ وليسَ تقليدًا لغيرِكَ.
- أن تكونَ بصيرًا بما يطلب منك.
- من البصير أن يبصرك الله بعيوبك.
- كما زادك ربك علمًا بمعاني لا إله إلا الله، كما بصرك بعيوبك فعرفت من عيوبك ما لم تكن تعرف، فاستغفرت الله تعالى بالتوجه إلى مولاك، أن يجعلك على بصيرة في دينه، وبينته من ربه.
- أن تقرأ أيها الإنسان ببصرك كلَّ شيء تراه هو اسم من أسماء الله، ترى في الفضاء اسم الله الواسع وترى في الشمس اسم الله النور وترى في البحر اسم الله العظيم، وهكذا في كلَّ شيء خلقه الله ﷻ ترى فيه أسماءه وصفاته ﷻ. قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١).

في السيرة والشمائل

في السلوك

الإشارة: إعلم أن تربية الولاية في قلب المريد، على نمط تربية الطفل الصغير، تنبت في قلب المريد وقت عقد الصّحبة بينهما، ثم لا تزال تنمو، أو الشيخ يرضعه بلبن الإمداد من العلوم والفهوم حتى يتم أو أن رضاعه، ولذلك قالوا: الثدي الميتة لا ترضع. يشيرون إلى أن الشيخ الميت لا يُربّي، فلا يزال الشيخ يُربّي الرّوح، ويمدّها حتى تدخل بلد الإحسان، وتشتعل فكرتها. وهذا تمام الحولين في حقّها، وهو أو أن كمال الحقيقة والشرعية لمن أراد إتمامها، فتأكل الرّوح حينئذٍ من كلّ شيء، وتشرب من كلّ شيء، وتستمدّ من الأشياء كلّها، ثم لا يزال يحاذيها بهمتها حتى ترشّد، فيطلق لها التصرف، فتصلح لتربية غيرها. وعلى الشيخ إمداد المريدين من قوت القلوب وكسوتهم، التي تقيم من إصابة الذنوب والعيوب، إلا ما سبق به القضاء في علم الغيوب، فليس في طوق أحدٍ دفعه، لا تُكَلِّف نفسٌ إلا وسعها، فإذا مات الشيخ، ووصّى بمن يرث مقامه، فعلى الوارث مثل ذلك، فإن أراد المريد انفصالاً عن الشيخ، وتعمير بلد، أو تذكير عباد الله، عن تراض منهما وتشاور من الشيخ، فلا جناح عليهما، وإن أردتم، أيها الشيوخ، أن تسترضعوا أولادكم بإرسال من يُدكّرهم ويُرَبِّبهم، ويمدّهم، نائبًا عنكم، فلا جناح عليكم إذا سلّمتم لهم من الإمداد ما يمدّهم به، واتّقوا الله في شأن المريدين، في جبر كسرهم، وقبول عذرهم، واعلموا أن الله بما تعملون بصير.

(١) سورة العلق، الآية: ١.

علم الصحة الغذائية: فوائد الرضاعة الطبيعية

آيات الإعجاز:

قال الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِيَ الرِّضَاعَةَ﴾^(١).

التفسير العلمي:

توجه الباري ﷻ بأمر للأمهات حتى يقمن بإرضاع أولادهن، مع تحديده المدة المثالية للرضاعة وهي سنتان، وقد أكد النبي ﷺ أهمية الإرضاع فقال لأسماء: "أرضعيه ولو بماء عينيك".
والمقصود بالرضاعة كما قال اللغويون هو مصّ الولد ثدي أمه، وهو ما لا ينطبق على الرضاعة الاصطناعية. لذا يجب على الأمهات أن يحرصن كلّ الحرص على الرضاعة الطبيعية التي أعدها الباري ﷻ أحسن إعداد.

الإعجاز الاجتماعي من خلال الرضاعة الطبيعية:

يعجب الإنسان لماذا حدّد الله تعالى فترة الرضاعة بحولين كاملين فالعلم الآن يؤكّد لنا على أن بطانة معدة الوليد لا يكتمل نموّها إلا في هذه الفترة وإذا لم يكن نموّها قد اكتمل فإنّ أي لبن غير لبن الأم يصل إلى الدم مباشرة ويؤدي إلى تكوين أجسام مناعية تضرّ بصحة الإنسان.

ومن هذه الأضرار أن هذه الأجسام المناعية تدمّر خلايا الأنسولين في البنكرياس وتسمّى خلايا بيتا وهي التي تفرز الأنسولين والتي تعين جسم الإنسان على هضم المواد السكرية وتحويلها إلى غرايفوهد الذي يخترن في الكبد.
يوصي القرآن الكريم ويوضح أن الفترة المثلى للرضاع حولين كاملين ولبن الأم إذا وصل إلى الدم لا يغيّر شيئاً ولا يصيب الرضيع بأيّة أمراض ولا تكوين أجسام مناعية جديدة لكن لبن البقر أو أي لبن آخر غير لبن الأم إذا وصل إلى الدم فإنّ مكوناته البروتينية تختلف عن المكونات البروتينية للبن الأم فيؤدي إلى تكوين هذه الأجسام المناعية. وثبت أن هذه الأجسام المناعية تدمّر الخلايا المفرزة للأنسولين في الكبد فيصيب الطفل منذ طفولته بمرض البيلو سكري مصاباً بهذا المرض الذي يئنّ منه الكبار ويعيش طوال حياته مربوطاً بالأدوية المعالجة لمرض البيلوسكر . إنّ كثيراً من أجهزة الجسم لا يكون نموّها قد تمّ قبل فترة العامين فمثلاً الكليتان لا ينضجان نضجاً كاملاً ولا يستطيع الطفل أن يأكل لحمًا أو طيخًا أو شيئاً مما يأكله الإنسان البالغ وهذا يضرّه ضرراً بليغاً لأنّ أجهزة جسمه لم تكتمل بعد ولا يكتمل البناء الجسدي والاكتمال العضوي لجسم الطفل قبل سنتين وتظلّ مرحلة النمو واکتمال هذا النمو في خلال سنتين.

فالأجسام المناعية المسماة بـ immunoglobulins اكتُشفت أولاً في حليب الأم. وهي أجسام مضادة للبكتيريا والفيروسات بأنواعها. بل إن العلماء وجدوا أن كمية البكتيريا في أمعاء الطفل الذي يتغذى على حليب البقر أكبر بعشرة أضعاف من تلك الموجودة في أمعاء الطفل الذي يرضع من صدر أمه.

منافع الإرضاع الطبيعي:

إنّ حليب الأم يحوي دائماً نسباً طبيعية من البروتين والسكريات والدهن، وهذه النسب يصعب التحكم فيها في حليب البقر وغيره. كذلك حليب الأم دائماً يخرج بدرجة الحرارة الصّحيحة والمناسبة للطفل.

منافع للطفل

- إن الأجسام المناعية immunoglobulins تساعد الطفل خلال الأشهر الأولى على حماية أجهزته جسمه من الهجوم الجرثومي المتكرر الذي يتعرض له، بل وتساعده أيضاً في تشكيل جهازه المناعي الخاص وتقويته.
- يحوي حليب الأم أيضاً مواد مناعية تسمى mucins هذه المواد تحوي الكثير من البروتينات والكاربوهيدرات وهذه المواد تلتصق بالبكتريا والفيروسات وتزيلها من جسم الطفل نهائياً دون أي تأثيرات جانبية، يعكس الأدوية الكيميائية.
- لا يستطيع الطفل أن يمتص كمية البروتين البقري، فيخترنها في جسده ما يؤدي مستقبلاً لأمراض السمنة. بينما نجد أنّ الطفل يمتص البروتين الموجود في حليب الأم بنسبة ١٠٠٪. كما بينت الدراسات أنّ المدة اللازمة لهضم البروتين في حليب الأم من قبل الطفل هي ١٥ دقيقة، بينما تستغرق العملية ذاتها مع حليب البقر أكثر من ٦٠ دقيقة. إذن هنالك توفير في الوقت والجهد.
- إنّ الطفل الذي يتغذى على حليب البقر يكون بوله وبرازه ذو رائحة كريهة أكثر من الطفل الذي يتغذى على حليب أمه!

س: ما هي المدة المثالية للإرضاع؟

ج: بينت الأبحاث الحديثة أن الإرضاع الطبيعي لمدة ٢٤ شهراً يقي الأم من خطر سرطان المبيض بنسبة الثلث.

الرضاعة في القرآن الكريم:

لقد تضمن النداء الإلهي الكريم ثلاث معجزات طيبة:

- ١- في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾: وهذا النداء نسمعه اليوم بكثرة في الولايات المتحدة الأمريكية، من منظمة الصحة العالمية ومنظمة اليونيسيف، بسبب الفوائد العظيمة التي اكتشفها العلماء في حليب الأم. ألا نستطيع أن نستنتج أن النداء الإلهي سبق النداء البشري بأربعة عشر قرناً!
- ٢- في قوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾: تحديد دقيق للمدة اللازمة للإرضاع الطبيعي للطفل بحولين كاملين، واليوم نجد الأطباء يؤكدون على أن المدة المثالية للإرضاع هي سنتان. وتأمل معي كلمة ﴿كَامِلَيْنِ﴾ والتي نلمس فيها تأكيداً من الله تعالى على ضرورة إكمال السنتين وعدم التهاون في هذه المدة.

في أشراف الساعة

في الأدعية والأذكار

كم هو جميل أن تصلي الأم على النبي ﷺ في كلّ مرّة ترضع فيها وليدها، ليتشرب مع لبنها حبّ الله تعالى وحبّ رسوله ﷺ، ويتخلّق بالأخلاق النبوية الشريفة.